**أفلاطون**

من تلامذة سقراط المخلصين، أسّس **الأكاديمية** واشتغل بالتأليف والتدريس حتى توفي عن عمر ناهز الثمانين، ويعد أول فيلسوف سلمت كتبه من الضياع، صاغ جل كتبه بطريقة **الحوار**، واتخذ **سقراط** بطلا لمحاوراته، ومزج فيها الشعر بالفلسفة بالعلم بالفن بالأسطورة. بلغ عدد المحاورات ستا وثلاثين، منها ست منحولة، واثنتان مشكوك فيهما، وإن كان بعضهم يبالغ فيشكك في أكثرها.

**مزج** أفلاطون بين عناصر الفلسفة اليونانية، وجدّدها وأضفى عليها من أصالته، فكانت فلسفته تمثيلا **وتلخيصا** للفلسفة اليونانية كلّها، على الرغم من أنه لم يترك فلسفة منظمة ومبوّبة، بل **تشابكت** عنده الموضوعات وامتزجت الأبواب، أما فلسفته الخالصة فقد نقلها تلاميذه وفي مقدمتهم أرسطو.

يرى أفلاطون أن الفلسفة تنبثق من النفس فهي **تجربة** **نفسية** أكثر منها حالة عقلية منطقية، تستعصي على التعبير ولا تحيط بها الألفاظ والتعريفات، والسبيل إلى بلوغها إنما يكون **بالحوار** بين الطالب والمرشد. وكان **للحدْس** **والبصيرة** حضورهما في فلسفة أفلاطون، مع أنه لا ينكر أهمية المنطق والحجاج، فالفلسفة عنده تعاش أكثر مما تقرأ، وتقتنص **بالذوق** **والكشف** أكثر من البحث والنظر...

الفلسفة عند أفلاطون هي **إدراك للحق والخير والجمال وتأمّلها وامتلاء القلب بها، أما وظيفتها فهي إحياء النفوس وصقلُها والأخذ بيدها حتى تنكشف لها الحقائق**، ولا تتلقى من الآخرين لأنها إنما تحيا بأصحابها وتموت بانفصالها عنهم. والفيلسوف الحقيقي عنده هو **المحبّ للحقيقة المبغض للكذب، الزاهد في الحياة ومتاعها، المتواضع الشجاع، ذو الخاطر السريع والحافظة القويّة والنفس السويّة.**

**نظرية المعرفة**

نادى السوفسطائيون **بنظرية** **إنسانية** في المعرفة فقالوا : لا شيء موجود في ذاته ولذاته، وكل ما هو موجود فإنما وجوده هو بالنسبة إلى الإنسان، فالإنسان عندهم (مقياس كل شيء)، **والإحساس عندهم هو معيار الحقيقة.**

ولما جاء سقراط قال: **إن العقل هو سبيل المعرفة لا الحس**، إذ الحس يختلف باختلاف الأفراد والحالات، أما العقل فهو عامّ بإمكانه أن **يستخلص الحقائق الكلّيّة الثابتة لا الحواس**.

وقد مضى أفلاطون في طريق أستاذه ومضى يدحض حجج السوفسطائيين، ولكنه لم يبين الشروط العامة التي يكون بها المدرك صحيحا، وتكون المعرفة به صحيحة، فهذه المسائل لم تكد تبحث إلا في العصر الحديث مع **لوك** **وهيوم** **وكانط**.

ويفرّق أفلاطون بين **الحِسّ والظنّ والاستدلال والتعقّل**، فأمّا **الحِسّ** فلا يصلح أن يكون سبيلا إلى المعرفة الحقيقية، كما أن المحسوسات لا تصلح أن تكون موضوعا لها، **فالحس أول مراحل المعرفة ولكنه ليس هو كل المعرفة**، لأن هذه المعرفة إنما تأتي عن طريق الأفكار، وعن طريق الصور المعمّمة والمعاني الكلّية التي يصوغها العقل ويركّبها من الجزئيات التي تدركها الحواس، وهكذا يكون بإمكان العقل أن يستخلص المعنى الكلّي لكلمات مثل إنسان وحيوان ونبات، والمعاني الرياضية والأشكال الهندسية، فهي أفكار كلّية ثابتة، وإن كانت أفرادها الحسّية زائلة. فالعقل يجمع بينها ويضم بعضها إلى بعض، ويقابل بينها ويدرك العلاقات القائمة فيما بينها، ويصدر عليها أحكاما مغايرة للحس. **فالحسّ يقدّم إلى العقل المادةَ الخام التي يحوّلها العقل إلى معرفة.**

**والظنّ** **شبيه الحس** في أنّه ليس وسيلة للمعرفة الحقيقية، لأن موضوعه المحسوسات المتغيّرة لا الحقائق الثابتة، وإن كان **أرقى قليلا من الحسّ**، إلا أنه يظل معرفة ناقصة غير معلّلة.

ثم يأتي **الاستدلال** الذي هو **أرقى من الظن وأقلّ من العلم أو التعقّل**، لأنه يستعين بالمحسوسات للوصول إلى موضوعه، **كالأشكال الهندسية والنظريات الرياضية**، فهي معقولات غير حسّية وإن كانت تأخذ من الحس بطرف، حيث يستخدم العقل فيها الصور المحسوسة ثم يستغني عن كل صورة حسّية ويستبقي المعاني الكلّية (المجرّدة).

**أما التعقّل فهو أسمى درجات المعرفة وأرقاها**، لأن موضوعه التصوّرات الفلسفية المجرّدة أو **المـُـثُل** **العقلية**، كالعدالة والجمال والخير، فهذه هي موضوعات **العلم الكامل** والحقائق العليا، التي تطلب لذاتها ولا يستعان في تحصيلها **بالحواس**، ولكنْ تدرك **بالعقل** والمجاهدة الفكرية وإدامة النظر والتأمّل.

**نظرية المُثُل**

اشتهر في الفلسفة اليونانية البحث عن **الماهيات** وأصول الأشياء، وعدّها بعض الفلاسفة هي **المعرفة الحقيقية**، أمّا **أفلاطون** فقد رفع هذه الماهيّات إلى مقام **الوجود الحقيقي**، إنها مركوزة في النفس ومطلقة، ومتّسقة فيما بينها، وكلّية، بخلاف المعرفة التي تقدّمها الحواس، فهي متغيّرة ونسبية وجزئية.

أما مصدر المعرفة الحقيقية المطلقة فهو **الـمُثُل**، وهي **حقائق كلّية ثابتة موجودة وجودا مستقلّا عن الإنسان، وهي مصدر للمعرفة، وعلّة لها في الوقت ذاته**، بل هي **مصدر لوجود الأشياء في العالم المحسوس وعلّة له**. فجمال الأشياء مثلا يدرك لأن في أذهاننا فكرة سابقة عن الجمال، وهذه الفكرة يجب أن يكون لها وجود خارجي مستقل عن الإنسان، هو **مثال الجمال** في **عالم المُثُل**، ولو لم تكن نفوسنا قد أشربت هذا المثال (حين كانت تعيش في عالم المـُثُل) لما أمكنها أن تدرك الشيء الجميل. فهي **تتذكّره** عند رؤية صورته، **ولكل شيء محسوس أو معقول مثالُه الأمثل الأكمل.**

**فالمـُثُل هي النماذج الحقيقية للوجود، وهي الموضوع الحقيقي للعلم**، **والأسس الأولى للوجود**، ولا يدركها إلا عقل الفيلسوف الذي يسعى إلى الغوص في أسرارها والتشبّه بها، فيقف على كنه الوجود والكائنات، فهذا هو سبيل الحكمة والإلهام في الفكر والفعل والكلام.

**عالم المُثُل ونظرية المحاكاة**

وقد نشأ عن هذه الرؤية الأفلاطونية نظرية هامة في الأدب والفن والإبداع هي **نظرية المحاكاة**، حيث يقومُ مفهوم المحاكاة في الأدب والفن عند أفلاطون على أنّ **ما في الواقع هو تقليد أو محاكاة لما هو موجود في عالم المـُثُل**. وقد طُرِحت مجموعة من الترجمات لمفهوم **المحاكاة** في الأدب، ولكنّ الترجمة الدقيقة لمفردة المحاكاة الإغريقية mimesis ليست **التقليد** imitation، ولا **التمثيل** **العقلي** representiul، إنّما الترجمة الصحيحة هي **المماثلة** simulation، فالفعل الدرامي -كما أشار أرسطو - هو **عبارة عن مماثلة الأفعال الإنسانيّة**، **والمماثلة** لا تتّسم بالتقليد الدقيق للأشخاص أو الأشياء، ولكنّها تتّسم **بالعموميّة** **والتجريد**.

فالعالم المحسوس **بعيد عن الأصل بدرجة**، **وكلّما ابتعدنا درجة ازددنا بعدًا عن الحقيقة**، والمثال على ذلك أنّ الشاعر أو الرّسام إذا أراد أن يصوّر سريرًا، فإنّه سيُحاكي السريرَ الذي صنعه النّجار، والنجار نفسه الذي صنعَ ذلك السرير ليس مبدعًا، إنّما هو مُحاكٍ للسرير الحقيقيّ، وهذا السرير الحقيقي موجود في عالم الْمُثُل الذي لا نراه، فيكون السرير غير موجود حقيقةً إلا في عالم المـُثُل، وبذلك يكون **عالم الـمُثل هو الدرجة الأولى للحقيقة**، وعالم النجّار هو محاكاة لعالم المثُل، أيْ صار في الدرجة الثانية، وهنا تبتعد الحقيقة عن الأصل شيئًا فشيئًا، ويكون عمل الشاعر أو الرسّام محاكاة للمحاكاة. **فالشاعر يقلّد الأشياء الموجودة حوله** **دون أن يعيَ طبيعتَها**، وبذلك يكون شِعره **تقليدا للتقليد**، فهو بعيد عن الحقيقة بدرجتين، ولذلك أصبح الشعراءُ عنده كَذَبةً ينبغي طردهم من المدينة الفاضلة، "إذ إن غاية أهل هذه المدينة معرفة الخير والوصول إلى أن تكون أفعالهم خيّرة فاضلة". والفن ومنه الشعر، لا يعمل على تحقيق هذه الأهداف لأن طبيعته "**المحاكاتية**" طبيعة **شائنة**، **ناقصة** **ومشوّهة**؛ وبذلك **يُبعد الناس عن معرفة الحقيقة بخداعهم** وما يقدّمه لهم من الزَّيف والخيالات.

وإذا انتقلنا إلى **وظيفة الفن عند أفلاطون نجده يختزلها في تقوية العواطف وجعلها جافة لدى المتلقّي لكي تعطينا إنسانا قويا يبحث عن الحقيقة**. ولما كان الشاعر، باعتباره فنانا، يؤجّج عواطف قُـــرّائه ويجعلها رقيقة ناعمة، فإنه يبعدها عن العقل، **ونحن نبحث عن الحقيقة بعقولنا لا بعواطفنا**. لذلك فإن "**التراجيديا**" أي **المأساة**، في نظره، تنمّي عاطفتي **الشفقة والخوف**، والشفقة تمثّل عاطفة الإنسان إزاء الآخر، والخوف يمثّل عاطفة الإنسان إزاء نفسه، وهما أصل العواطف الإنسانية ومنبعها، و لما كانت "**التراجيديا**" أي **المأساة** تنمّي هاتين العاطفتين فإنّهما تجعلان المشاهد خائفا وحزينا، مما ينتج عنه **استسلامه للعواطف والانفعالات، وابتعاده عن استعمال آليات العقل.**

(لحسن الكيري، نظرية المحاكاة عند الفيلسوف اليوناني أفلاطون)